

## **CREATIVITY IN USING THE MASK TECHNIQUE IN CONTEMPORARY ARABIC POETRY**

**Dr. Sana Izz Aldin ATARI<sup>1</sup>**

Ministry of Education, Jerusalem

### **Abstract**

This research deals with the mask technique in contemporary Arabic poetry in terms of its concept, spread, characteristics, and the creativity of Arab poets in using it, to express their feelings and thoughts in a time when harsh political and social conditions prevailed, and in light of the lack of freedom of expression in the Arab world.

The mask technique is a literary concept that expresses the poet's use of terms and visual images to express his feelings and thoughts in a way that makes them have multiple and different connotations. This poetic style reflects the poet's ability to express in an abstract and symbolic manner, creating deep moral layers in the poetic text.

The use of the mask technique in modern Arabic poetry includes many elements, such as metaphor, simile, symbolism, and allegory. The poet relies on these elements to express his feelings and thoughts in a way that makes the reader interact with the text and search for deeper meanings in it.

The mask technique is considered one of the literary techniques that distinguishes modern Arabic poetry and adds artistic and cultural value to it. This technique is used to explore different themes such as love, home, identity, freedom, daily life, and social issues.

The mask technique in modern Arabic poetry represents an artistic means that allows the poet to express his thoughts and feelings in an innovative and attractive way, and enhances the strength of the poetic text and its appeal to readers.

**Key words:** Mask Technique, Poetic Style, Symbol, Contemporary Arabic poetry.

---

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.28.30>

<sup>1</sup>  [e.m.sanaatari@yahoo.com](mailto:e.m.sanaatari@yahoo.com)

## الإبداع في استخدام تقنية القناع في الشعر العربي المعاصر

د. سناء عز الدين عطاري

وزارة التربية والتعليم، القدس

### الملخص:

يتناول هذا البحث تقنية القناع في الشعر العربي المعاصر من حيث مفهومها، وانتشارها وخصائصها وإبداع الشعراء العرب في استخدامها، ليعبروا عن مشاعرهم وأفكارهم في زمن سادت فيه الظروف السياسية والاجتماعية القاسية، وفي ظل انعدام حرية التعبير عن الرأي في العالم العربي.

وتقنية القناع هي مفهوم أدي يعبر عن استخدام الشاعر للمصطلحات والصور البصرية للتعبير عن مشاعره وأفكاره بطريقة تجعلها ذات دلالات متعددة ومختلفة. يعكس هذا الأسلوب الشعري قدرة الشاعر على التعبير بأسلوب مجرد ورمزي، مما يخلق طبقات معنوية عميقية في النص الشعري.

يتضمن استخدام تقنية القناع في الشعر العربي الحديث العديد من العناصر، مثل الاستعارة، والتشبث، والرمزية، والميتافора، والمجاز، والرمز. يعتمد الشاعر على هذه العناصر للتعبير عن مشاعره وأفكاره بطريقة تجعل القارئ يتفاعل مع النص ويبحث فيه عن المعاني العميقة.

تعتبر تقنية القناع أحد الأساليب الأدبية التي تميز الشعر العربي الحديث وتضيف له قيمة فنية وثقافية. تستخدم هذه التقنية لاستكشاف مواضيع مختلفة مثل الحب، والوطن، والهوية، والحرية، والحياة اليومية، والقضايا الاجتماعية. كما أن تقنية القناع في الشعر العربي الحديث تمثل وسيلة فنية تسمح للشاعر بالتعبير عن أفكاره ومشاعره بشكل مبتكر وجذاب، وتعزز من قوة النص الشعري وجاذبيته للقراء.

**الكلمات المفتاحية:** تقنية القناع، الأسلوب الشعري، الرمز، الشعر العربي المعاصر.

### المقدمة

إن العوامل السياسية والاجتماعية في الوطن العربي، وما ألحقه بالإنسانية من أضرار فادحة، مادياً ومعنوياً، جعلت الإنسان العربي، والشاعر العربي خاصة، إزاء مجموعة من التناقضات مما دفعه إلى الخروج عن دائرة المألوف، والتمرد على قيم الثبات والجمود. فكانت القصيدة الشعرية محطة أولى أمام الشاعر، وميدان إبداعه.

فلجأ الشاعر العربي إلى استخدام الرمز وسيلة فنية للتعبير غير المباشر عما يريد. وتقنع بشخصية من شخصيات التاريخ فتشبث بها وانطلق منها نحو ذاته، معبراً بوساطة التقى بها عن مكونات نفسه، مبيحاً عن طريق التقى بتلك الشخصية عن أسراره إلى المتلقي وصارت تقنية القناع مظهراً من مظاهر الحداثة وما بعدها في الشعر العربي الحديث.

يُعتبر «القناع» مكوّناً من مكونات النّص الشّعري العربي الحديث، أي أحد مظاهر حداثته. وحداثة القصيدة العربية لا تكمن فقط في خروج الشاعر العربي المعاصر على الوزن والقافية، بل تمثل حقاً في بلورة رؤيا خاصة به، وما تربّى على

ذلك من بحث عن رموز وأساطير وأقنعة يجسد فيها ومن خلالها رؤياه وينجحها شكلاً حياً ملماوساً، وأن الشعر تجربة ذات طبيعة خاصة تجذب نحو الإيجال والاستبطان والكشف والشمولية والمغايرة والانفعالية والكثافة والغموض والتعقيد واللاوعية.

والرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعابيرية لغوية، يثير بها لغته الشعرية و يجعلها قادرة على الإيحاء، بما يُستعصي على التحديد والوصف، ليعبر الشاعر عن مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية، فالرمز وجه مقنع من وجوه التعبير، لأنه ليس إشارة إلى موضعه أو اصطلاح إنما هو في أساسه علاقة اندماجية بين الرمز (الأشياء الحسية الرازمة) والمرموز إليه (الحالات المعنوية المرموز إليها)، وعلاقة التشابه هنا تتحضر في الأثر النفسي لا المحاكاة، ومن ثم فهو لا يقرر ولا يصرح بل يوحي ويومي ويلمح. ويمكن اعتبار تقنية القناع تعميقاً للصورة بمفهومها المعاصر وتكييفاً لها، إنها أسلوب جديد وراقٍ من أساليب تشكيل الصورة وبنائها بطريقة رمزية، حين تبلغ الصورة مرحلة تكون فيها أكثر تجريداً وإيحاء وإثارة (بوعمار، 2017: 453).

"والقناع رمز يتخذه الشاعر ليضيفي على صوته نبرة موضوعية" (الموسى، 2003: 209)، و"هو رؤيا يتحقق فيها التفاعل بين الذات والموضوع" (عصفور، 1981: 128)، أي أنه الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر عن نفسه متجرداً من ذاتيته.

### مفهوم القناع لغة:

جاء في مادة (قَنْعَ) من "السان العربي": "المِقْنَعَةُ والمِقْنَعُ: ما تُغْطِي به المرأةُ رأسها. والقِنَاعُ أوسعُ من المِقْنَعَةِ وقد تَقْنَعَتْ به وَقَنَعَتْ رأسها. وَقَنَعَتْهَا أَبْسُطُهَا القِنَاعُ، فَتَقْنَعَتْ بِهِ" قال عنترة: "إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي \* \* طَبْ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَأْتِمِ". والقِنَاعُ والمِقْنَعَةُ ما تُغْطِي به المرأةُ رأسها ومحاسنها من ثوابٍ. "أَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ قِنَاعَ الْحَيَاءِ": على المثل، وَقَنَعَهُ الشَّيْبُ خَمَارَهُ: إذا عَلَاهُ الشَّيْبُ. وَرِيمًا سَمُوا الشَّيْبَ قِنَاعًا لِكُونِهِ مَوْضِعَ الْقِنَاعِ مِنَ الرَّأْسِ.. أَتَاهُ "رَجْلٌ مُقْنَعٌ بِالْحَدِيدِ" أي على رأسه بيضة، وهي الخوذة، لأن الرأس موضع القناع. "رَازَ قَبْرَ أَمَّهُ فِي الْفِي مُقْنَعٍ"، أي في ألفٍ فارسٍ مُغضَّى بالسلاح.. المُقْنَعُ: هو المعنى رأسه" (ابن منظور، 1994: 300)

إن تقينا من المعاني اللغوية لكلمة "قِنَاع" ما رأينا أن له صلةً مباشرةً بالمعنى الاصطلاحي الشعري. وانطلاقاً من هذه التعريفات المعجمية يبدو "القناع" كناءً عمما يغطي الصورة الطبيعية أو يعلو اللون الأصلي أو يحجب الوجه الحقيقي حجاباً مؤقتاً.

## مفهوم القناع اصطلاحاً:

القناع اصطلاحاً: " وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر، شاع استخدامه منذ ستينيات القرن الماضي بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية وال المباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية عن تجربة معاصرة بضمير المتكلم، وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر من خلال صوت الشخصية التي يعبر الشاعر من خلالها" (الشطري، 2021).

يعرف على جعفر العلاق: «القناع تقنية عُني باستخدامها شعراء هامون في العالم مثل "بيتس" و"إزرا باوند" و"إليوت". إن القناع رمز يأخذ شكل الشخصية التاريخية غالباً التي تُنجز حديثها بضمير المتكلم» (الشطري، 2013). ويقول جابر عصفور في الشأن التعريفي نفسه: "غالباً ما يتمثل رمز القناع في شخصية من الشخصيات تنطق القصيدة صوتها، وتقدمها تقدیماً متمیزاً يكشف عالم هذه الشخصية في مواقفها أو هواجسها أو تأملاتها أو علاقاتها. فتسيطر هذه الشخصية على "قصيدة القناع" وتتحدى بضمير المتكلم، إلى درجة يُخيّل إلينا معها أننا نستمع إلى صوت الشخصية. ولكننا ندرك شيئاً فشيئاً، أنها ليست سوى قناع ينطق الشاعر من خلاله. فيجاوب صوت الشخصية المباشر مع صوت الشاعر الضممي تجاوباً يصل بنا إلى معنى القناع في القصيدة" (عصفور، 1981). أمّا عبد الوهاب البياتي فيعرف المصطلح قائلاً: "القناع هو الاسم الذي يتحدى من خلاله الشاعر نفسه، مُتجّراً من ذاتيه، أي أنّ الشاعر يعمد إلى خلق وجودٍ مستقلٍ عن ذاته. إنّ القصيدة في مثل هذه الحالة عالمٌ مستقلٌ عن الشاعر، وإن كان هو خالقها" (البياتي، 1993).

نستنتج من التعريفات السابقة أنَّ "القناع" أسلوبٌ شعريٌّ يتمثل في أنَّ يخاطبنا الشاعر وقد تقمص شخصيةٍ ما، فتماهى معها. والقرينةُ اللّفظية الدالّة على وجود القناع هي ضمير المتكلّم الذي ينوبُ الشاعر والشخصية معاً. أمّا القرينةُ المعنوية الدالّة على أنَّ القصيدة مقتنة فهي وجودُ تفاعل بين ذاتيّة الشاعر ولوازمه وبين خصائص الشخصية المستدعاة وشروطها المرجعية.

## القناع نشأته وتطوره:

القناع وسيلة درامية استخدمت في رقص القبائل البدائية ثم انتقلت إلى الاحتفالات الدينية في المسرح الإغريقي وسواء، ولا تزال تستخدم حتى يومنا هذا، فالقناع مصطلح مسرحي أساساً، لم يدخل الشعر إلا مع بدايات القرن العشرين ليعبّر عن لون متقدم من التوظيف الشعري للرموز والشخصيات، "ويُفصح عن علاقة جديدة للشاعر بتراثه، ولن يكون خطوة متقدمة في الفن الشعري باتجاه الاغتناء من أساليب الفنون الإبداعية الأخرى" (حداد، 1986: 149)، ويؤدي وظيفة جديدة تختلف نسبياً عن الوظيفة التي كان يؤديها في المسرح والطقوس البدائية، فهو وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو تقنية مستحدثة، في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينيات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية وال المباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة، بضمير المتكلم. وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر، من خلال صوت الشخصية التي يعبر الشاعر من خلالها

ولعل هذه العلاقة الوطيدة بين المسرح والقناع هي التي دفعت بعض الدارسين إلى افتراض أن قصيدة القناع قد وجدت منذ ظهور الشعر الدرامي، وأن بدايتها الأولى إنما تخلقت من رحم النصوص الشعرية المسرحية في إطار تقارب الفنون وتداخلها وإزالة الحواجز بين الأجناس الأدبية المختلفة (بوعمار، 2017).

لقد وجدت تقنية القناع على مستوى الممارسة الإبداعية قبل وجودها على مستوى التحليل والتنظير، ذلك أن الحديث عن القناع وتحديده مصطلحاً وأسلوباً كان عملية متاخرة بعض الشيء عن الأمثلة الشعرية التي يمكن تلمس بعض سمات هذا الأسلوب فيها (حداد، 1986).

أما القناع بصيغته الأدبية فقد كان على يد الشعراء الإنكليز سيمون الشاعر (بن جونسون) الذي كتب أعمالاً مسرحية تنتهي إلى ما يطلق عليه (الأقنعة) من خلال مسرحيته (السود المقنعة) عام 1605 والتي تقف في مقدمة أعماله في هذا المجال (إبراهيم، 2015).

### نشأة القناع في الشعر العربي الحديث

مصطلح القناع واحدٌ من العديد من المصطلحات التي استعارها النقاد العرب من المصطلحات الغربية. وقد جاء ترجمةً للمصطلح الإنجليزي Mask الذي تردد في دراسات "إليوت" وبحوثه النقدية، وقبل هذا أشیر إلى أسلوب القناع بمصطلح "الرمز".

نلاحظ ارتباط نشأة القناع، غرباً وشرقاً، بالثورة على الرومنطقيّة لأنّه يسمح للشاعر بأنْ: يُضفي على صوته نبرة موضوعية، شبة محايدة، تتأيّد به عن التدقّق المباشر للذّات. أما الرومنطقيّة فكانت عادة غوصاً في الذّات الشاعرة حتّى الذّوبان فيها والانقطاع عما حولها.

ولم يشر أحد من النقاد أو الشعراء العرب إلى هذا المصطلح صراحة قبل صدور كتاب "تجربتي الشعرية" لعبد الوهاب البياتي عام 1968، ويعد البياتي رائد القناع سواء من حيث تحديد مصطلحه الدقيق أو من حيث استخدامه في شعره حتى أنّ أ. د. إحسان عباس يعتبر أن عماد التجديد في إبداع البياتي يعتمد على تقنية القناع، فيما تعتبر قصيدة "المسيح بعد الصليب" عام 1957 لبدر شاكر السياب أولى القصائد التي يتم فيها توظيف القناع بشكل ناضج وفاعل (بوعمار، 2017).

ومن أوائل الشعراء الذين استخدمو تقنية القناع كأسلوب تعبيري في الأدب العربي الحديث الشاعر أدونيس في مجموعته الشعرية (أغاني مهيار الدمشقي) والتي أصدرها عام 1961 وفي هذه المجموعة لجأ أدونيس إلى طريقة جديدة في التعبير الشعري هي إبداع شخصية (مهيار الدمشقي) (أدونيس، 1988).

والقناع يساعد الشاعر على التواصل مع القارئ بطريقة مبتكرة ومثيرة، ويسمح له بالتجاوز عن الذاتية وال مباشرة في الشعر، ويعكس علاقته بالتراث والحضارة والإنسانية، وهو يرتبط بالرمز والأسطورة، فإذا جعل الشاعر القصيدة مبنية على رمز أو أسطورة معينة، فهذا يعتبر قناعاً.

وكان التأثير عند جيل شعراء الحرب العالمية الثانية، ولا سيما عند السياب وأدونيس وحاوي وصلاح عبد الصبور، أكثر نضجاً، لقد تمثل هؤلاء الرواقد الأجنبية وتعملوا فيها، وصهروا كل ذلك في ذواتهم مما زادهم عن في تجاربهم، وقد كانت البيئة الحضارية العالمية التي نهلوا منها مدعاه لتفجير طاقتهم وأدت إلى تعميق إدراكمهم لطبيعة المأزق الذي يعيشه

العالم العربي، وذلك الجيل هو جيل التكريس الذي أفاد فنياً وموضوعياً من تجارب الجيل السابق (جيل التأسيس)، فضلاً عن معطيات الحركة الرومانطيقية الغربية والمتأثرين بها من شعراء العرب، وكذلك الحركة الرمزية، والشعر المنثور ثم ما يُعرف بـ(قصيدة النثر) فكرس ذلك الجيل فنية الشعر الحر وقد قصيدة التفعيلة بوصفها شكلاً شعرياً واتجاهًا تجديدياً في العربي.

### الشعر

والقناع أنواع، منها: الأسطوري الصارب في أعماق التاريخ الإنساني، ومنها الخرافي المستل من التراث الشعبي، ومنها الدينية التي يعود بأصله إلى الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، ومنها التاريخي الذي يتفرع إلى أدبي وحربي وسياسي، ومنها المبدع الذي اجتهد الشاعر العربي الحديث في نحت كيانه وتشكيل ملامحه بنفسه. فهذا ما فعل الشاعر العراقي سعدي يوسف لما اخترع شخصية "الأخضر بن يوسف" وما صنع الشاعر السوري دونيس عندما خلق شخصية "مهيار" (الشطي، 2013).

### الدمشقى"

## وظائف القناع ودراوي ارتداؤه

يستدعي الشاعر الشخصيات المختلفة من عمق الأسطورة أو من بطون المقدس أو من محض الخيال الشعري، ويتحقق وهو يكتب نصه، متقدعاً بوجوه غيره متكلماً بأصواتها، كل ذلك ليؤدي هذا القناع وظيفة ما يهدف إليها الشاعر أثناء كتابة القصيدة. وقد يحافظ الشاعر على السمات الأصلية للشخصية وقد يحورها، وذلك حتى تصير الشخصية المستدعاً طبيعياً يسهل تماهي الشاعر المستدعي معها. فيؤدي القناع آنذاك ما أريد له من وظائف أو أكثر مما فكر به صاحب النص،

وهذه الوظائف هي:

### 1- الوظيفة الإيديولوجية

ومن الأمثلة على ذلك اختيار البياتي لقناعي الحلاج والموري، يعبر اختيار القناع أولاً عن موقفٍ من القناع نفسه وثانياً عن موقفٍ من العالم الذي يتقنّ الشاعر ليخاطبه. فقد اعترف البياتي بأنّ "سفر الفقر والثورة" هو إحدى المجموعات الشعرية التي استحضر فيها شخصية «الثوري في الثورة المستمرة». وكذلك كان الحلاج والموري. فكلّا هما ثائر بفكرة وسلوكي ولغته الإبداعية. ورغم أنّ البياتي حافظ دوماً على انتتمائه إلى الفكر الاشتراكي فقد تقنّ بالصوفي (الحلاج) الذي ذهب أنه في نورانية الألهوت حتى تحرّر من عالم الحسن والشهادة. فالقناع والمتقدّع كلاهما ثائران على الظلم أيا كان مأثاره وضحاياه، طامحان إلى الخير المطلق لعموم الخلق، لا يعرف اليأس من أنسنة هذا الوجود البشري المختلط طريقاً إلى قلبهما. غايتهاما الثورية واحدة رغم بعد المسافة بين مثالية الشاعر ولاهوتيه المتصرف وبين زميّن كلّ منهما. وكذا نقرأ تقنّ البياتي بـ "رهين المحبسين" الذي امتحنَه عَيْنَ البصر حتّى أفقد بصيرته جاعلاً إياه فيلسوفَ الشعراء أو شاعر الفلسفه. إنَّ الظلم قديم قدم الثورة عليه، مُجدد العهد لا يُخالف ميعاداً مع بني آدم (الشطي، 2013).

اختيار البياتي للحلاج والموري عائدٌ إلى ما في القناعين من رَحِيمٍ ثوريٍ عارِمٍ شاملٍ على فساد واقع بني آدم مُذْكُوا. فالحلاج قاطع التصوف السلبي المكتفي بمناجاة الخالق الناصي عذاب المخلوق. وأسس تصوفاً "إصلاحياً" (إنَّ صَحَّ التعبير) جعل الدولة العبassية تقفُ منه موقفَ الريبة والخشية والإنكار. في هذا يقول سامي مكارم: "وكان كَمَا أَمْعَنَ الحَكَمُ بالجُورِ وجَمِيعِ الْمَالِ وَمِنْعِهِ، زَادَ إِصْرَاراً عَلَى مَوْقِفِهِ وَمُعَارِضَةً لِلْوَضِيعِ الْقَائِمِ وَتَقْرِباً مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَتَمَرِّداً عَلَى مُحِبَّةِ الْذِنْيَا

واستِعلاَة على مُحِبِّها وتحذِيرًا للنَّاسِ منها وإنْدارا لهم من تَقْلِيباتها وتهُّكما على أهلها من حُكَّامٍ وْمُؤْرِّيْن إلى حُكَّامٍ" (مكارم، 1989: 41). كانت هذه السَّمَّةُ التَّوْرِيَّةُ الْاسْتِشَانِيَّةُ هي ما سَهَّلَ على خصوصِيهِ اتهامه بالانتقام إلى دعوة "القرامطة" وإلى حركة الرَّزْجُ المتطرفة، وكلاهُما شيعيتان ثائرتان في عصر الحلاج. أمَّا المعرِّي فقد كان ثابتاً الغضِّيْبُ من الدُّنْيَا بأسرهَا خيرِها وشرِّها مُعْبِراً عن موقفِهِ ذاك بالاعتزالِ الكثيْب سُلوكاً وبالنَّقْدِ العنيْفِ إنتاجاً أدبياً (شعا ونثرا). إنَّ حزنهُ الغاضبُ الْأَتِيُّ من رِحْمِ القرنِ العاشرِ ليجُدُّ صدَّى في نفسِ ابنِ القرنِ العشرينِ. كأنَّما الزَّمْنُ ثابتاً لا يُروَّحُ مَكَانَهُ.

لذا نرى في تَقْرِيْبِ البياتِي بالحلاج والمعرِّي شكلاً من أشكالِ التَّبَّيِّنِ للجانبِ التَّوْرِيِّيِّ في كلِّ مِنْهُما مذهبًا وقولًا وسيرة. بهما يُيدِّينُ البياتِيُّ التَّارِيْخُ الرَّسْمِيُّ الَّذِي هَمَّشَ المتصوَّفَةَ غَيْرَ الْمُبَتَّيْنِ عن واقعِهِمْ وَقَدَّمَ الشَّعَرَاءَ الغَزِيلِيْنَ والمَدَاهِيْنَ على حسابِ الشَّعَرَاءِ المفَكِّرِيْنَ.

## 2- الوظيفة الفنية:

هي الصُّقُّ الوظائف بالقناع لأنَّ هذا الأخيَر تقنيَّة وأسلوبٌ أولاً وقبل كلِّ شيءٍ.  
وكلُّ قناعٍ يُخلِّ بالقصيدة المعاصرة يحملُ أغلبَ دلالاته الأصلية معه إلى بيته الجديد حيثُ يُعاد إنتاجُ المعنى  
الواحدِ بآلاتِ النَّصِّ الحاضنِ. ويمكن حصرُ الوظائف الفنية في ثلاثة:

أ\_ إضفاء الطابع الدرامي على النص الشعري.

ب\_ تجنبُ الخطابِ المباشرِ الذي يجعل النص مكتوفاً.

ج\_ جعلُ النص قابلاً لـ تعددِ القراءة بـ تعددِ القراء (الشطي، 2013)

## 3- الوظيفة النفسية:

يجُوزُ أن يُؤَدِّيَ القناعُ وظائفَ نفسيةً أيضاً إذا وضعنا في الاعتبار أنَّ المعاصرة الشعريَّة كانت في بعضِ وجهاتها ثورةً على الرومانسيَّة الكئيبة والغنايَّة المنفلتة. في هذا يقولُ على جعفر العلاق: "حاول شعراً الحداةُ العربُ تحريرَ نصوصهم من سطوة المشاعر الرومانسيَّة والمواقف الغنائيَّة السائبة. ولتحقيق ذلك وجدُوا أنَّ أكثرَ الوسائل ملائمةً، إن لم تكن أكثرُها فاعليَّة، هو معالجةُ عنايَّهم الروحيَّ والتَّعبيرُ عنه عن طريق الاستخدام التَّاضج للشخصيات التَّاريخيَّة كأقنعة" (العلاق، 1997). بـذا تصييرُ القصيدة المقتنة حسب عبارة البياتِي: "لا تحمل آثارَ التَّشويهات والصَّرخات والأمراض التَّنفسية التي يَحِفِّلُ بها الشَّعرُ الدَّائِيُّ الغنائي" (البياتِي، 1993).

## أهم أنماط القناع

### 1- الشخصية الأدبية قناعاً:

وتتمثل من خلال قصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي . مذكرات رجل مجهول:

أنا عامل، أدعى سعيد من الجنوب

أبواي ماتا في طريقهما إلى قبر الحسين

وكان عمري آنذاك.. سنتين

ما أقصى الحياة

### 2- الشخصية الدينية قناعاً:

القناع الديني يعود بأصله إلى الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وتتمثل في قصيدة الشاعر

محمد القيسى (يوسف في الجب):

صلبوني في الغربة يا حادي الركب

قيدني أخواني

ورموني في الجب

قتلوني يا حادي الركب لأنني أحبت

أما الشاعر الليبي إدريس الطيب فيوظف قصة يوسف عليه السلام كرمز للمناضل الثوري الذي تطارده السلطة،

وهو بذلك يسقط رؤيته المعاصرة من خلال هذه القصة:

ابنك يا يعقوب - لم نعشه لم تسجنه

امرأة العزيز.. بل شرطة المباحث

فكل أفراد قبيلتي مباحث.. السجن مثل البيع لا خيار

لكنه رآك في المنام تزن الرصاص للرجال.. رؤياه لم تخص من قبل، لم تلامس المحال

يوسف يا يعقوب - لم تفتاك به الذئاب

لم يمت.. يهديكم السلام

وهكذا نجد الشاعر إدريس الطيب يدخل بدائل جديدة لتحل محل العناصر التراثية، لكي يستطيع أن يبين العلاقة

بالسلطة الظالمين تشبيهاً بكيد امرأة العزيز، فهي تتبع المناضلين وتلتصق بهم التهم المختلفة، بغية التحفظ عليهم

وإدخالهم السجن. وإذا كان أخوة يوسف - عليه السلام - قد وضعوه في الجب وأخبروا أبيهم بأن الذئب أكله، فإن شرطة

المباحث تحل محل أخيه يوسف في هذا العصر.

لقد استطاع أن يتخذ من قصة يوسف رمزاً وقناعاً، ليعبر من خلاله عن جور السلطة وكذبها وتضليلها في علاقتها مع أبناء الشعب الباحثين عن الخلاص، فقد حولت السلطة معظم أبناء هذا الشعب إلى مخبرين ومباحث ليتسنى لها السيطرة الكاملة عليهم (عمر، عمر سعيد، 2020: 158).

وارتدى الشاعر الفلسطينى الكبير محمود درويش القناع الدينى المتمثل فى شخصية سيدنا يوسف عليه السلام وذلك في رأيته "أنا يوسف يا أبي" التي تختزل العديد من القيم الفنية والجمالية بفضل توظيفه للعديد من التقنيات التي ساهمت في افتتاح النص واحتماله العديد من الدلالات. من بين هذه الطرق، يمكن ذكر التّراث، التّناص، الرّمز، القناع، والتّأويل كأساليب تساهمن في افتتاح النص وإثارة التفكير والإستمتاع لدى المتلقي. (بن تهامي، 2018).

كما استخدم العديد من الشعراء الصليب كرمز المأساة والقهرا، وقد استخدمه الشعراء المحدثون في شعرهم، ومن أهم الشعراء الذين استخدموه وأحسنوا استخدامه: السياپ، أدونيس، صلاح عبد الصبور، خليل حاوي، ومحمود درويش (مجناح، 2023).

يقول محمود درويش:

نصبوا الصليب على الجدار

فكوا السلالسل عن يدي

والسوط مروحة، ودقات النعال

يا أنت!

قال نباح وحش:

أعطيك دربك لو سجدة

أمام عرشي سجدتين!

ولثمت كفي في حياء مرتين

أو تعتملي خشب الصليب

شهيد أغنية وشمس

فعسى صلبيي صهوة

### 3- القناع الصوفي:

من أهم الشعراء الذين استدعوا الشخصيات الصوفية وارتدوها قناعاً، الشاعر البياتي، ويمكن أن يكون قد "وجد في محنة الشاعر الصوفي قبله- في معاناته واضطرابه ومكابدته وبحثه الدائم عن الحقيقة، وتأمله واغترابه ووحدته، وانتظاره للحظة الإلهام أو الكشف - شيئاً من محنته هو في معاناته ومكابدته واغترابه وتأمله في الواقع" (مسعود، 2017، 202).

وقد اختار البياتي عدة شخصيات صوفية اندس وراءها أبرزها: الحلاج، وابن عربي، وعمر الخيام، وجلال الدين الرومي، وشكل حضور هذه الشخصيات مرتكزاً علامياً في شعر البياتي امتنج (بالقصد) الذي كان على وعي تام بأهميته في معادلة القناع حين قال: "حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا وفي كل العصور، وأن أستبطن مشاعر هذه

الشخصيات النموذجية في أعمق حالات وجودها، وأن عبر عن النهائي واللانهائي، وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن أو سيكون" (البياتي، 1993، 24).

وتعد قصيدة (عذاب الحلاج) أول قصيدة قناع في الشعر العربي الحديث، كتبها البياتي سنة 1964، بعد محاولات كثيرة لإيجاد وسيلة مناسبة للابتعاد عن التقريرية والدنس أكثر من التعبير الدرامي الذي يقوم على التعبير المركب، والذي يستند على عامل المشاركة الوجدانية باستحداث شخصية ثانية تطل على القراء بوجه مألف لديهم (مسعود، 2017).

يقول البياتي في قصيدة (عذاب الحلاج):

يا ناحراً ناقته للجار

طرقت باي بعد أن نام المغني

بعد أن تحطم القيثار

من أين لي وأنت في الحضرة تستجي

وأين أنتهي وأنت في بداية انتهاء

موعدنا الحشر فلا تفض ختم كلمات الريح فوق الماء

ولا تمس ضرع هذى العنة الجرباء

#### 4- القناع الأسطوري:

وقد الشاعر -في الأسطورة- متنفسا للتأمل ، ورافد البناء الفكري ، يذكره بقدرته على الخلق والمحاكاة والإبداع " ، فمنذ أن بدأت أفكار التجديد تتواتي في الأدب الأوربي ، حضرت الأسطورة كرافد يغذي حلقاتها ، فاستلهكت أبطال الملائم في قوة خلقها وبحثها في مصير الإنسان المعاصر ، وتغذيتها لفلسفة الحلم الواقع جديد ، لأن الفكر الأسطوري - رغم بدايته - يظل " فكرا قائما في كل عصر لا يمكن إلغاؤه من تفكير الإنسان " لما فيه من قوة تأمل وطموح لتجديد والتحفيز ، وكانت المدرسة الرمزية سباقة على هذا الحقل المعرفي ، وتوظيفه في شعرها ومن هنا بدأت رحلة الأسطورة في الأداب العالمية المعاصرة ، وبحكم علاقات التأثر والتأثير إنقتبس أدبنا العربي هذا الشكل التعبيري ، فكان تقليدا محضا في بداية حركة التجديد مع الرواد ، ثم أصبح إستلهاما واعيا لهذا الموروث (مجناح، بـ 2023)

ويتمثل في قصيدة الشاعر خليل حاوي (السندباد في رحلته الثامنة):

عدت إليكم شاعراً في قمة بشارة

يقول ما يقول

بفطرة تحسس ما في رحم الفصل

تراه قبل أن يولد في الفصول

ويتمثل أيضاً في شعر محمود درويش حيث يقول:

تموز مر على خرائينا

وأيقظ شهوة الأفعى

القمح يحصد مرة اخرى  
ويعطش للندى.. المرعى  
تموز عاد ليترجم الذكرى  
عطشاً.. وأحجاراً من النار فتساءل المنفى:

كيف يطير زرع يدي  
كفاً تسمم، آباري (مجناح، بـ 2023)

#### 5- القناع الذهني:

ويتمثل من خلال قصيدة الشاعر العراقي الكبير محمود البرikan (هواجس عيسى)، والتي تنتقد الحياة الزائفة والمبالغ فيها، وتصف حالة الإنسان المحرم من المعنى والشغف والحرية، هذه القصيدة تعبر عن رؤية سوداء ومظلمة للإنسان، وتظهر كيف يضطر إلى التخلّي عن حقائقه وأصوله، والانغلاق على نفسه، والانخفاض إلى مستوى المستاء والإحباط:

يخفي المسافرون

وجوههم في صفة الظل ويحلمون

بالغد... الرجال متعبون يحلمون

باليبيع والشراء والفاقة والثراء

والأهل والبنين والوداع واللقاء

#### 6- الطبيعة قناعاً:

ويتمثل في قصيدة الشاعر علي الشرقاوي (أنا وهي):

لن افاجأ لو قيل لي

إن هذا الجنون هي...

ففي كل مكان وما سيكون

أنا حجر الزاوية

وأنا جحيم (الذيد) على القلب

والنار كيف تسمى

إذا لم تكون

حامية

الخاتمة:

"القناع" أسلوبٌ شعريٌ يتمثل في أن يخاطبنا الشاعرُ وقد تقمصَ شخصيّةً مّا، فتتماهي معها. والقرينةُ اللفظيةُ الدالّة على وجود القناع هي ضمير المتكلّم الذي ينوبُ الشاعرَ والشخصيّةِ معاً. أمّا القرينةُ المعنويّةُ الدالّة على أنّ القصيدة مقتنعةٌ فهي وجودُ تفاعلٍ بين ذاتيّةِ الشاعرِ ولوازِمه وبين خصائصِ الشخصيّةِ المستدعاةِ وشروطها المرجعيّة.

استخدام تقنية القناع هو ظهر من مظاهر حداة الشعر العربي. والقناع تقنيةٌ شاعت في الشعر الغربيِّ الذي منه استلهمها الشعراء العرب، وقد اجتهدوا في ملاءمة هذه التقنية مع الفكر والثقافة العربية، حتى ترسخت في قصائدِهم، وقد أبدع العديد من شعراء العرب في استخدام هذه التقنية ومنهم: البياتي، أدونيس، السياب، حاوي، درويش، وغيرهم من الشعراء. وأسلوب القناع قد ساهم بتجاعة وفاعلية في أن يجعلَ الشعر العربيِّ المعاصر يكُفَّ نسبياً عن أن يكون نصاً أحاديَّ المعنى، فجعلَه رحماً خصيّباً لتوالُد الدلالات، أو أن يكون دعايّةً مفضوحةً لرؤيه أو لفكرة أو لمذهب، وأن يكون تداعياً حُراً لذات المبدع، فحوّله مجالاً لا يكشفُ فيه الشاعرُ من نفسه إلّا القليلَ الذي يظلُّ مع ذلك مسألاً خلافيةً يتجاذل بشأنها القراءُ، وأن يكون صوتاً يتيمًا منفرداً، فمتاحه أصواتاً صاخبةً ضاجعةً تحاكي الصخب البركاني للعالم الذي لا ينفكُ يمورُ من حوله، وأن يكون كياناً إبداعياً مستقلّاً، فأشعّ أبوابه على الدين والتاريخ والأساطير والمجتمع لتساهم هذه الفروعُ المعرفيةُ في إنتاج النصّ.

## المراجع:

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. (1994)، لسان العرب، مجلد 8، مادة قناع، دار صادر، بيروت، لبنان.
- إبراهيم، هيا عبد الكاظم. (2015). بواكي حركة الشعر عند الرواد بين التأثر والتأثير (نازك الملائكة والسياب) أنموذجًا، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع 20، 213-258.
- بن تهامي، نورا. (2018). انفتاح النص الشعري عند محمود درويش قصيدة "أنا يوسف يا أبي" أنموذجًا، حوليات الآداب واللغات، 6(2)، 202-216.
- بوعمار، بوعيشة. (2017). القناع في الشعر العربي المعاصر، مجلة الحقيقة، 16(3)، 452-470.
- البياتي، عبد الوهاب. (1993). تجربتي الشعرية، ط 3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حداد، علي. (1986). أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.
- سعيد، علي أحمد (أدونيس). (1988). أغاني مهيار الدمشقي، دار الآداب، بيروت، لبنان.
- الشطري، خلود. (2021). تقنية القناع في المسرحية العربية الشعرية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، 11(11)، 529-545.
- الشطي، فوزية. (2013). القناع في الشعر العربي الحديث، ع 75، 1-20.
- عصفور، أحمد جابر. (1981). أقنعة الشعر المعاصر، مهيار الدمشقي، فصول، 1(4)، 123-148.
- عمر، عمر سعيد. (2020). الرمز والقناع في الشعر الليبي الحديث، مجلة المنارة العلمية، ع 1، ج 1، 152-160.
- العلاق، علي جعفر. (1997). الشعر والتلقى: دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، الأردن.
- مكارم، سامي. (1989). العلاج في ما وراء المعنى والخط واللون، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن.
- مجناح، جمال. (أ) 2023). جماليات النص الشعري المعاصر، جماليات الرمز الديني محمود درويش أنموذجًا، كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.
- مجناح، جمال. (ب) 2023). جماليات الرمز الأسطوري محمود درويش أنموذجًا، كلية الآداب واللغات - جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.
- الموسى، خليل. (2003). بنية القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا.
- مسعود، وقاد. (2017). القناع الصوفي في شعر عبد الوهاب البياتي، جامعة الوادي، الجزائر، مجلة كلية الآداب واللغات، ع 121، 199-210.